على الغلاف

دعا وزير الخارجية الأميركي، مايك بومبيو، إلى «عهد جديد من التعاون» في مواجهة التحديات (أ ف ب)

نجح بنيامين نتنياهو في تصدير الصورة التي أرادها في وارسو. ودّ ولقاءات ووحدة صوت ضد إيران. هذا هو حاله مع ممثلي الدول الخليجية الذين دشّنوا، أمس، على الملأ، طوراً أكثر تقدماً من أطوار التطبيع الجاري على قدم وساق. أوصل مندوبو الممالك والإمارات رسالة واضحة مفادها أنهم مستعدون للذهاب إلى أبعد مدى في التعاون مع واشنطن وتل أبيب من أجل كسر شوكة طهران. لكن الحقيقة التي أعادت تأكيدها فعاليات «وارسو» هي أن هذا المشروع، الذي تُشكك تصفية القضية الفلسطينية العمود الرئيس فيه، لا يفتأ يواجه عقبات على مستويات متعددة، تجعل عمليات التحشيد الأميركية المتواصلة في إطاره أقرب ما تكون إلى الظواهر الصوتية

نتنياهو يلمّ الخليجيين التطبيع إلى العلن!

لم يعد الأمر مجرّد تسريبات أو تأويلات أو تحليلات. رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو جنباً إلى جنب صقور الدبلوماسية الخليجية. لقاء حيّ بالصوت والصورة يعفي السعوديين والإماراتيين والبحرينيين من عبء النفي والتمويه والإيهام. عملياً، ويصول بوصفه ممثّل اليمن. خالد اليماني لم يجد حرجاً في ملاحقة نتنياهو، بل ومنحه مكبّر الصوت ليصدح بالتحريض ضد إيران. إنها لحظة تشرح القلب» كما سمّاها جيسون غرينبلات، مبعوث الرئيس الأميركي إلى الشرق الأوسط، تجلّي بوضوح مرة جديدة التموضع الاستراتيجي الذي يُراد للبيمنيين أن يؤخذوا إليه، وهم الذين لا تخلو ساحة من ساحاتهم من شعارات التضامن مع فلسطين ونصرتها.

أرسلت اغلب الدول الأوروبية ممثلين من الصف الثاني إلى مؤتمر وارسو

أخرج هؤلاء العلاقات من السرّ إلى العلن، لكن تدشينها سيكون «في وقته» وفق ما بشّر به وزير خارجية البحرين خالد بن أحمد آل خليفة. نتنياهو بدا أكثر المغتبطين بالمؤتمر الذي انعقد على مدار يومين في العاصمة البولندية وارسو. بالنسبة إليه، شكّل المؤتمر «منعطفاً تاريخياً». كيف لا وقد أبصر التطور غير المسبوق في مستوى التقارب الخليجي ـ الإسرائيلي النور، وبات يُجهَر به على رؤوس الأشهاد. ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، الذي «اقتحم» قبل أيام كعبة المسلمين ليكرّس نفسه «خادماً لحرمَيهم الشريفين»، أوفد إلى وارسو وزير الدولة للشؤون الخارجية عادل الجبير، فيما أرسلت الإمارات التي دخلت الأسبوع الماضي طوراً جديداً من التطبيع تحت شعار «التقارب بين الأديان» وزير خارجيتها أيضاً عبد الله بن زايد. أما البحرين، التي طالما مثّلت بالنسبة إلى السعودية «عصفور الكناري في منجم» التطبيع، فمَن لمهمة من هذا النوع سوى وزير خارجيتها، الذي له قصب السبق في التودّد إلى الإسرائيليين؟ وخلف هؤلاء جميعاً، وزير خارجية لا يكاد يفارق مقرّ إقامته في الرياض، يجول العربي»، فلا تبدو الأمور أفضل حالاً. على رغم محاولات مايك بومبيو التسويق لما سمّاه «عهداً جديداً من التعاون»، وحديثه عن أن «أي دولة لم ترفع صوتها لتنكر الحقائق الأساسية التي توافقنا عليها جميعاً بشأن إيران، والخطر الذي تشكله»، إلا أن كلمة نائب الرئيس الأميركي، مايك بنس، جاءت لتظهّر حجم الهوّة بين واشنطن وشركائها الغربيين في ما يتصل بكيفية التعامل مع إيران. لم يتورّع بنس عن مهاجمة الدول الأوروبية التي «تمرّدت» على العقوبات الأميركية، وتجرّأت على إقرار آلية خاصة للتجارة مع طهران، واصفاً ذلك بأنه «إجراء غير حكيم»، ومعتبراً أنه «سيؤدي إلى تعزيز موقع إيران، وإضعاف الاتحاد الأوروبي، وإحداث شرخ أكبر بين أوروبا والولايات المتحدة». ودعا بنس الأوروبيين إلى الانسحاب من الاتفاق النووي، مهدّداً بأن العقوبات الأميركية «ستصبح أشد وطأة» إلا إذا «غيّرت طهران سلوكها الخطير والمزعزع للاستقرار». وهو ما لوّح به أيضاً بومبيو، الذي اعتبر «(أننا) نحتاج إلى مزيد من العقوبات، ومزيد من الضغط» على الجمهورية الإسلامية.

لكن الأوروبيين ظلّوا يغرّدون في سرب مغاير، إذ بعدما امتنعوا عن تسجيل مشاركة رفيعة المستوى في مؤتمر وارسو، وأرسلوا بأغلبهم ممثلين من الصف الثاني، جاءت مواقفهم لتصبّ في غير ما تشتهيه واشنطن، حيث شددت وزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي، فيديريكا موغيريني، على أن «مواصلة العمل على تطبيق الاتفاق النووي كاملاً هي أولوية»، فيما أكد الدبلوماسي الألماني، نيلسن انن، أن «أوروبا ليست منقسمة حيال قضية إيران»، وأنها «تدعم الاتفاق النووي». واعتبر دبلوماسي أوروبي آخر، لم يشأ الكشف عن هويته، أن «كل ما يهدف إلى دفع إيران للتصعيد، وخصوصاً في النووي، سيكون خطأ كبيراً نرفضه بشدة». وحده بنيامين نتنياهو كان يساوق التحريض الأميركي، من غير أن يلقى استجابة سوى من «وزراء خارجية دول عربية كبرى تحدثوا بقوة ووضوح ووحدة غير عادية ضد التهديد المشترك الذي يشكله النظام الإيراني»، على حدّ تعبيره. لكن هؤلاء يبدون أعجز عن تشكيل ائتلاف وازن بوجه إيران، في ظلّ الخلافات المتعددة الأوجه في ما بينهم، وتفاوت رؤاهم ومصالحهم. ولعلّ انعدام القابلية هذا يتبدّى في خلفية تصريحات المسؤولين الإيرانيين الذي لا يفتأون يشددون على أن مؤتمر وارسو «فارغ ومعدوم النتائج»، مثلما كرّر أمس الرئيس حسن روحاني خلال قمة سوتشي التي جمعته بنظيريه الروسي والتركي، في حين اعتبرت روسيا، على لسان مندوبها الدائم لدى الأمم المتحدة فاسيلي نيبينزيا، أن ما جرى في العاصمة البولندية «طريق خاطئ للغاية».

(الأخبار)

خطوة... بخطوة!

جميع الدول الخليجية حضرت مؤتمر وارسو. حتى الكويت شاركت عبر نائب وزير خارجيتها خالد الجار الله، في حين أرسلت قطر رئيس دبلوماسيتها محمد بن عبد الرحمن آل ثاني. ما بين يومي الأربعاء والخميس، تنوّعت اللقطات والمواقف التي تظهر حجم الودّ بين الجانبين. وزير خارجية الولايات المتحدة، مايك بومبيو، عبّر عن ذلك بوضوح بقوله تعليقاً على مائدة جمعت رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بالمسؤولين الخليجيين مساء أول من أمس: «كان الزعماء العرب والإسرائيليون في الغرفة نفسها، يتشاركون وجبة الطعام ويتبادلون الآراء». وسبق تلك المائدة لقاء بين نتنياهو ووزير خارجية عمان يوسف بن علوي في مقرّ إقامة الأول. أما نجم الفعاليات بامتياز فكان وزير الخارجية في حكومة الرئيس المنتهية ولايته عبد ربه منصور هادي، خالد اليماني، الذي حاول التخفيف من وقْع ما قام به بقوله إن ثمة «أخطاء بروتوكولية». لكن تعليق المبعوث الأميركي إلى الشرق الأوسط، جيسون غرينبلات، كان واضحاً إذ قال: «لم يكن ميكروفون نتنياهو يعمل، فقام وزير الخارجية اليمني بإقراضه»، مضيفاً أن «نتنياهو رد مازحاً بشأن التعاون الجديد بين إسرائيل واليمن: خطوة بخطوة» (الأناضول).

اليمن يتبرّأ من اليماني

أثارت مشاركة وزير الخارجية في الحكومة اليمنية الموالية للرياض، خالد اليماني، في مؤتمر وارسو، وظهوره جنباً إلى جنب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، سيلاً من ردود الفعل المندّدة. ووصف المكتب السياسي لـ«أنصار الله» ذلك الظهور بأنه «قمة في الانحطاط والعمالة»، معتبراً أنه «يظهر الإفلاس الأخلاقي والقيمي لدى حكومة المرتزقة ورعاتها»، مشدداً على أن «وارسو لا يمثل الشعب اليمني بل يعتبر خروجاً عن قيمه ومبادئه». وعدّ «المؤتمر الشعبي العام»، من جهته، «ما أقدمت عليه الشرعية جريمة لا تغتفر، وتستدعي من مختلف القوى الوطنية موقفاً قوياً وصارماً»، مؤكداً أن «خطوة المدعو اليماني لا تعكس مواقف الشعب اليمني التاريخية والقوية والصلبة إزاء الصراع مع العدو الإسرائيلي». واعتبر «التنظيم الوحدوي الشعبي الناصري» «خطوة اليماني خيانة وطنية وتعبيراً عن تحالف الشر الذي يعمل على تدمير اليمن»، فيما رأت «أحزاب اللقاء المشترك» أنه «جيء باليماني لاختزال الموقف اليمني لمصلحة كيان الاحتلال الإسرائيلي».

(الأخبار)

مواقف فلسطينية منددّة

أجمعت فصائل المقاومة الفلسطينية على رفض مؤتمر وارسو، واعتباره «حلقة جديدة في سياق مشاريع تصفية القضية الفلسطينية». ورأى المتحدث باسم حركة «حماس»، حازم قاسم، في بيان، أن «المؤتمر خدمة تقدمها الإدارة الأميركية للمصالح الإسرائيلية فقط، عبر محاولة دمج دولة الاحتلال بالمنظومة الإقليمية»، مضيفاً أن المؤتمر يأتي في سياق «تهميش الحقوق الفلسطينية، وجعل إيران كعدو للمنطقة بدل الاحتلال، وزيادة الانشقاقات في الشرق الأوسط». وعدّت «حركة الجهاد الإسلامي» مؤتمر وارسو «فصلاً جديداً من الخداع والتضليل، لإغراق العالم العربي والإسلامي في الفتن والصراعات، مقابل تأمين جبهة العدو الإسرائيلي»، مستنكرة «المشاركة العربية في هذا الاجتماع، وما صاحبها من لقاءات ومصافحات علنية وسرية مع قادة العدو الصهيوني»، وداعية «الفصائل الفلسطينية إلى التوحد من أجل التصدي لتلك المشاريع».

(الأخبار)

مقالة

همروجة وارسو

وليد شرارة

مؤتمر وارسو مثال جديد على مدى تحول السياسة إلى فنٍّ استعراضي. كان الهدف المركزي المعلَن للمؤتمر، عند بدء الإعداد لعقده من قِبَل الإدارة الأميركية، هو مواجهة إيران. لكن رغبة الإدارة في تأمين أوسع مشاركة ممكنة في المؤتمر، وإدراكها جدية الخلافات بينها وبين الأطراف الأوروبية الوازنة، كألمانيا وفرنسا والمفوضية الأوروبية وحتى بريطانيا، حول كيفية مقاربة الملف الإيراني، دفعاها إلى ربطه بهدف آخر وهو «الترويج لمستقبل السلام والأمن في الشرق الأوسط».

أتى عزوف تركيا وروسيا عن المشاركة فيه، وإدانة السلطة الفلسطينية له، وضعف مستوى تمثيل الأطراف الأوروبية المذكورة، ليظهر مجدداً عجز الولايات المتحدة عن فرض أجندتها على لاعبين سياسيين معنيين بأبرز القضايا التي يتطرق لها المؤتمر، على رغم أن بعضهم لا يزال حليفاً لها. من الصعب الاقتناع بأن هذه النتيجة لم تكن متوقعة من قِبَل أركان إدارة دونالد ترامب وبقية المشاركين بحماسة في همروجة وارسو. اعتبارات أخرى، سياسية وانتخابية، يغلب عليها البعد الاستعراضي، تشكل الخلفية الفعلية للمؤتمر، وتحتلّ حيزاً أساسياً في حسابات «نجومه» الأميركيين والإسرائيليين وبعض الخليجيين.

ضرورة طمأنة الحلفاء

ليس سراً أن إيران عدو مشترك لجميع أطراف وارسو. لا يفوّت أي منهم فرصة لاتهامها بأنها مصدر كل الشرور في العالم، والتنسيق بينهم ضدها بات معروفاً. لا يحتاج هذا التنسيق العملي، والمستمر منذ فترة غير قصيرة، إلى عقد مؤتمر دولي، خصوصاً بحضور جهات أخرى تطرح مقاربة مختلفة للعلاقة مع طهران، وتعارض بدرجة أو أخرى مقاربة واشنطن ووكلائها. يُعقد المؤتمر في سياق شرق أوسطي من سماته البارزة تزايد مخاوف الوكلاء المحليين للولايات المتحدة، إسرائيل والسعودية أساساً، مما يعنيه الانسحاب المعلن لقواتها من سوريا، وما يؤشر عليه من تراجع نسبي لأولوية الإقليم وشؤونه في جدول أعمالها. احتواء الصين وما يترتب عليه من سياسات وحشد للقوى بات يحتلّ موقع الأولوية الأولى بالنسبة إلى الإدارة الأميركية بدفع من رئيسها، على رغم معارضة تيار قوي في داخلها. تلي هذه الأولوية أيضاً أولوية أخرى وهي استعادة السيطرة على أميركا الوسطى واللاتينية، وهو ما كشفته سلسلة التطورات التي حدثت في البرازيل وفنزويلا، وتحويلها مجدداً إلى حديقة خلفية مغلقة أمام تمدد النفوذ الصيني والروسي.

لا يعني هذا التغير في جدول الأولويات فقدان الشرق الأوسط أهميته الاستراتيجية في نظر واشنطن، لكنه قد يعني، كما قال آموس هاريل كبير المعلّقين في قضايا الأمن والدفاع في «هآرتس»، أن هذه المنطقة ستكون أقل حضوراً على المستوى اليومي، وأن الحلفاء سيضطرون إلى التعامل مع تحديات متصاعدة بدرجة أكبر من الاعتماد على النفس، في بيئة إقليمية متغيرة لغير مصلحتهم. قدرة الولايات المتحدة على التحكم بشؤون العالم متراجعة وبسرعة، وما سمّاه عدد من أهم خبرائها الاستراتيجيين «الغرق» في الشرق الأوسط تم على حساب التصدي لتحديات أخطر وأكبر على موقعها كقوة مهيمنة، كالصعود الصيني وعودة روسيا إلى الساحة الدولية. لم تكن هذه القناعة بعيدة عن إعلان الرئيس الأميركي السابق، باراك أوباما، عن سياسة الاستدارة نحو آسيا، ولا حتى عن قراره التوصل إلى اتفاق مع إيران حول ملفها النووي، يكون بمثابة فكّ اشتباك، للتفرغ لمواجهة الصين.

التيار الصقوري في الإدارة الحالية بقيادة جون بولتون يحذر من مغبة قيام إيران، وحتى روسيا وتركيا، بملء الفراغ الناجم عن تراجع الدور الأميركي في الإقليم، ويدفع إلى اعتماد استراتيجية أكثر عدوانية ضد الأولى، تؤدي إلى احتواء نفوذها الإقليمي وإضعاف نظامها وزعزعة استقراره، قبل التفرغ لمناطق أخرى. ليس من المصادفة تكاثر العمليات الإرهابية التي تشنّها مجموعات انفصالية مدعومة أميركياً في إيران، وآخرها عملية وقعت خلال انعقاد مؤتمر وارسو. ستواصل الإدارة سياساتها المعادية لهذا البلد بوسائل وأدوات مختلفة، كالعقوبات الاقتصادية والحصار والضغوط، مراهنة على إمكانية النجاح في إضعاف نظامه، أو حتى التسبب بإسقاطه إن كان ذلك ممكناً. غير أنها مجبرة على مواجهة تحديات أخرى في الآن نفسه. يستدعي هذا الواقع طمأنة الحلفاء المحليين إلى أن أولويات واشنطن الراهنة لا تعني تخلّيها عنهم، وأنها تحرص على بناء جبهة عالية للدفاع عنهم. ترامب يعي أن قراره الانسحاب من سوريا تسبّب بامتعاض شديد لدى حلفائه الإسرائيليين والسعوديين، الذين أوعزوا إلى جماعات الضغط المرتبطة بهم في أميركا بمهاجمة القرار، وهو لا يريد فقدان دعم اللوبي الصهيوني القوي وأنصار إسرائيل الكثر، لأن هدفه الأول هو تأمين شروط إعادة انتخابه لولاية ثانية. وظيفة مؤتمر وارسو من منظور إدارة ترامب هي التأكيد على أنها لن تتخلى عن التزاماتها تجاه الحلفاء مهما تغيرت الظروف.

التطبيع مع العرب كورقة انتخابية

تحكم الاعتبارات الانتخابية العديد من مواقف وقرارات بنيامين نتنياهو في الآونة الأخيرة. منطق واحد يربط بين إعلانه عن مسؤولية إسرائيل عن مئات الغارات على أهداف في سوريا، والذي أثار غضب أوساط عسكرية صهيونية رأت فيه خرقاً لسياسة الغموض البناء المتبعة حيال هذا الأمر، وإصراره على التطبيع العلني مع قادة ومسؤولين عرب، وهو السعي المحموم لكسب أصوات الإسرائيليين مع اقتراب الانتخابات. فالجهر بوجود علاقات تعاون وتنسيق مع بلدان عربية، على رغم عدم تسوية القضية الفلسطينية، يعزز ـ من منظور نتنياهو ـ من صدقية النهج الذي اعتمده طوال فترة حكمه أمام الرأي العام، ويثبت أنه نجح في تحقيق إنجازات كبرى على المستويين السياسي والاستراتيجي بالنسبة إلى إسرائيل، من دون تقديم أي تنازلات تذكر. همروجة وارسو فرصة لتلميع صورة رجل متهم وزوجته بعدة قضايا فساد، كفيلة بأن تقوده مباشرة إلى السجن في حال خسارته الانتخابات.

المدعوون

ممالك الخليج وإماراته قد تكون الأكثر ذعراً من إمكانية تراجع النفوذ الأميركي في الإقليم. هذا هو الدافع الأول لمسارعتها هي الأخرى إلى التطبيع المكشوف مع إسرائيل. العلاقة معها، بالإضافة إلى كونها إذعاناً لطلب من الحليف الأميركي بغية كسب المزيد من رضاه، جزء من عملية تعزيز لشراكات جديدة ضمن سياسة تحوّط استراتيجي لأنظمة تشعر بأن بقاءها مهدد عندما تتراجع الحماية الخارجية. دونالد ترامب كان محقّاً عندما أكد مراراً وتكراراً أن النظام السعودي ما كان ليبقى لأيام لولا الحماية الأميركية. همروجة وارسو فرصة للظهور جنباً إلى جنب مع حلفاء أقوياء، يمنح الوقوف معهم شعوراً بالأمن والطمأنينة لعائلات حاكمة مرعوبة من المستقبل. فالمتغيرات العاصفة التي تشهدها المنطقة يصعب التنبؤ بتداعياتها عليهم.